التخصيص الى القصد الى احد المستويين في نفس الامر بل المرجوح انه لا ينبغي
لانه عبث وهو نقص والباري تعالى واجب الكمال وانما سبب التخليط
التباس ما يصح بالذات وممتنع بالغير بالممتنع مطلقا او بالجائز مطلقا
ولهذا منع النظام والاسواري قدرته تعالى على القبيح وقالت الفلاسفة
لو كان العالم محدثا لكان ممكنا ولو كان ممكنا لكان الامكان
ذاتيا له لكان ممكنا في الازل ولو كان ممكنا في الازل لجاز ان يقع ولو
وقع لكان قديما وانه جمع بين النقيضين ادى اليه القول بحدوث العالم
فيكون باطلا فكان من جوابنا عليهم ان قلنا ان المقدمات
كلها مسلمة الى قولكم لو كان ممكنا في الازل لجاز ان يقع لانا نقول
هو جائز بالذات ممتنع بالغير لان شرط اثر المختار تاخره عن المؤثر فكذا
نقول لهؤلاء ان المختار يصح منه الفعل نظرا الى ذاته لكن يمتنع بالغير
وحاصل هذا ان مرادنا بالقادر من له الحالة التي تصح معها
ان يخرج المعدوم الى الوجود باختياره وذلك اثر القدرة ومرادنا بالمريد
من له الحالة التي تصح معها ولاجلها ان يخصص ذلك الاثر بوجه
دون وجه ووقت دون وقت وقد قلنا يتوقف وقوع فعله على داعي
الحكمة وكذا وقوع داعي الفعل لانه لا يستقل عنه والا لم يكن وجها
له فليت شعري من اين جاء لهم تعميم وقوع بقدرته تعالى
وان ارادوا صحة التعلق وانكاله كما قلنا في القدرة لم يلزم منه الوقوع
والا فليقع كل ممكن والعجب من فرار المعتزلة من اثبات
الارادة صفة ذات اعني تقابل صفة الفعل حتى قالوا بتلك المقالات الردية
ولم يكن لهم حاجة الى ذلك الا تسليم هذا الوهم الساقط واما قعقعة الاشاعرة
بالمغالبة والقهر لمن وقع في ملكه ما لا يريده فانما ذلك في المغلوب و
المقهور لا الممكن لمملوكه من ذلك باختياره وهو قادر على منعه كيف شا
في كل لحظة وطرفة وقد اعترف بهذا
القدر صاحب المسايرة وليس اعترافه تفصيله لكن العين العوراء تقرح
بالدمعة لما طبق هذا الجم الغفير على تلك القعقعة حتى ذكر البياضي
عن ابي حنيفة انه يلزم ان الله يتحسر وما كنت اظن بابي حنيفة انه

يبلغ

يبلغ ذلك فهيهات الخطب ان كان النعمان بلغ الى هذا القدر وليست
الشهرة وكثرة الفضيلة بنافعة ولا حجة ولكنها نكتة لطيفة
وسر ابين يعلمها الله سبحانه ويمنحها من شا وهو انما يحاسبك على ما عندك
ويحتج عليك بما اعطاك لا بما اعطى عبدا غيرك لا يكلف الله نفسا
الا ما اتاها فاعد الجواب وارغب الى الله في العصمة عن ان يستخفك
احد فان الله سبحانه يقول فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما
فاسقين فعلل خفتهم وطاعتهم لطاغيتهم بفسقهم فكان الداء ثابت
من قبلهم كما قال المستكبرون للضعفاء انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
بل كنتم مجرمين فداو نفسك ان شئت والحمد لله وحده فان قلت
هل بين معنى الراجح في نفسه والراجح بالفاعل على قولهم يترجح بالاختيار
فرق قلت نعم بينهما بون عظيم فان معنى الراجح
بالمختار هو ان اخرجه من العدم الى الوجود وكان جائز الوجود وبعد
الاختيار والايقاع واجب الوجود ومعنى الراجح في نفسه ان الماهية
الفلانية كالعقل مثلا يستتبع الدفع في شان من اتصف بها ويناسب
العقول مدحه وتعظيمه من حيث ذلك الاتصاف وهذا الاستتباع
من لوازم العدل وعوارضه والمؤكدات لترجحه ومن قصرت همته
وضعف نظره ظن ان هذا هو المعنى واهل الادراك التام يقولون على
الحقيقة لمن نظر الى الاحسان في نفسه كالانعام على البائس مثلا وحده
محققا في نفسه يذعن له العقل ويطمئن الى فعله بالفطرة الصرفة السليمة
من دون نظر الى عاقبته ولولا هذا لم يكن احسانا البتة اذ التاجر الذي
انفق عمره في منافع الناس ومرافقهم على انواعها متحريا نفع نفسه ليس له
من الاحسان شيء من حيث انه كذلك ومن الحق الثابت في نفسه الذي
ادرك العقل حقيقته وانه حقيق ان لا نعول عليه عبادة الباري تعالى
وتقابض هذه الحقائق تقايضها في ذاتها ومستتبعاتها وكون الشيء
في نفسه هو المقصود اصالة من دون نظر الى لازمه فمدح الله جل شانه
فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فلا يرتاب عاقل ان العدل حسن وكال يقبل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)